مقتطفات من كتاب

مجمع الأحياء

عباس العقاد



إليك لأنك تعرف لماذا!!!؟

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)
https://cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com

وأعدت طبع الرسالة بعد الحرب الماضية بسنتين فقلت في مقدمة الطبعة الثانية : « لا أزال أعتقد بعد الحرب كما كنت أعتقد قبلها أن الغيرة على الحق هي روح الإنسانية أو هي مظهر أنانيتها وحب البقاء فيها . فإذا هي رضيت لأمة أن تستنزف موارد الأمم بغير الحق ثم اطمأنت إلى هذه الحالة فقد آذن ذلك بانحلالها وكان منها بمثابة ضعف الوطنية في الأمة وضعف الحيوية في الفرد ، وكلاهما نذير الفناء » .

تراه ، وأينما وجدت نفس تحسن أن تدرك فثم حقائق أمامها تدركها ، ولن تظمأ حاجة من حاجات النفس وهذه الموارد باقية . اللهم إلا تلك الحاجة المحكوم عليها بالظمأ الأبدي ، والتي تموت إن رويت : وهي الحاجة إلى الكمال ، وبها تتم الحاجات جميعاً ، ومن قبلها يجذبنا زمام الغيب القدير - هذه ينابيع الإنسان التي يعول عليها : كلما أضاع أملاً أخرجت له أملا جديداً . وكأنها خزانة الجدة العجوز تتربص بالابناء المسرفين حتى يقنطوا ويضيقوا ذرعاً فتفرج أزمهم وتسرّي عنهم وتزودهم بالنصائح الموفقة لهم . وهذه الجدة العجوز لا تبض لك بأمل وعندك أمل خلافه ، ولا تفتح لك بابها وأمامك باب

سواه ، وربما أقنعتك في كل مرة بأنك تحرز الأمل الأخير فلا تكاد تصدقها حتى يتبين لك أنها خزانة لا تنفد ، وكنز ذو أوان لا يفتأ يتجدد ولا يتبدد ! »

في هذا المعنى وما ذهب مذهبه كتبت هذه الرسالة . ولم أزل منذ دارت في نفسي هذه الخواطر أسمع حجة واحدة هي أكثر ما يورده الناس على فساد نظام الكون ، وهي مع ذلك أوهن الحجج وأظهرها بطلاناً ، وتلك الحجة هي تباين موازين الجزاء ، وتنزلها على خلاف المقرر المسلم به في عرفهم . فهم يقولون : أما كان العدل يقضي بالتسوية بين الناس في منازلهم وحظوظهم ؟ أليس من الغبن أن يغتضر الشاب ويؤخر الهرم ، وان يحرم العامل ويُغدَقُ على العاجز ، وأن يرتفع الوضيع ويبتذل الكريم وإن كان هذا مراد الأقدار أفما كان في وسعها أن ترضي كل مخلوق بنصيبه ، وتغني كل طالب عما ليس في يده ؟ وازدادت هذه الشكوى بعد الحرب الكبرى فسُمعت في كل مكان ، وكان لها فعل عجيب في تغير الاحوال ، وستسمع فى كل حين ما دام الاختلاف بين الناس ، فتكون من أقوى دوافع التيار الانساني .

والشاكون بهذا اللسان لا يداخلهم الريب في عدل شكواهم بيد أنهم ينسون أن أنانيتهم هي الشاكية المتلهفة على التغيير ، وأن ليس العالم هو المفتقر إليه ، المتوقف نظامه عليه ، وإن أحدهم ليقول في أيام رضاه ما لا يقول في أيام سخطه ، ثم يتقلب أمله في حالتي الرضى والسخط . . . فهل يريد أن يتحول العالم معه كلما تحولت به الصروف وتقلبت عليه الآمال ؟

البحر بحرا لجملة هذه الأغراض أو لواحد منهـا . وكذلك الحياة لا تحصر أغراضها ولا تدفع بنا الى الأغراض التي تفهمها عقولنا . فمن أراد أن يفهم غرضها فليسألها تجبه في نفسه ، لأن السائل هو الجواب ، بل هو كلمة من لغتها المكتوبة الناطقة بغرضها ، وعلى قدر ما في هذه الكلمة من المعنى يكون حظ السائل من فهم جواب الحياة .

فلنفهمها بلغتها ولا نحاول التعبير عنها بلغتنا ، وأقرب ما نشبه به تلك اللغة المبدعة أنها وحي ناطق بالمجاز ، كامن في العقول والقلوب والأرواح والحواس ، تكتبه بطريقة تصويرية كطريقة المعبرين عن المعاني برموز الكتابة المصورة : فتنبت شجرة لتقول النضرة والنماء ، وتنشىء ربيعاً لتقول الحب والرواء ، وتسعر حرباً لتقول التنازع على البقاء ، بل تبدع كوناً لتقول اللّه والسماء . أو هي تصور ولا تلفظ ونحن نفسر ولا نقرأ . وقد صورت حقائقها مرة واحدة في كتاب واحد نحن حروفه وكلماته وأرقامه فلا نحاول أن نكون قارئين محيطين بهذا الكتاب وَحسبنا منه ما ننطوي عليه من مغزاه .

ولا أزال أعتقد بعد الحرب كما كنت أعتقد قبلها أن الغيرة على الحق هي روح الإنسانية أو هي مظهر أنانيتها وحب البقاء فيها . فإذا هي رضيت لأمة أن تستنزف موارد الأمم بغير الحق ثم اطمأنت إلى هذه الحالة فقد آذن ذلك بانحلالها . وكان منها بمثابة ضعف الوطنية في الأمة وضعف الحيوية في الفرد . وكلاهما نذير الفناء .

وأختم هذه المقدمة كما ختمت الرسالة قائلاً : اسمعوا صوت الطبيعة : اسمعوه همساً قبل أن تضطركم إلى سماعه زمجرة ووعيدا . وليسمعه كل حي على شاكلته : يسمعه الشرير فيتمادى في شره وتسمعه الأمة فتقضي على ذلك الشرير ، وتسمعه الإنسانية فتنحي على الأمة التي تفرط في حقوق الحياة ، أو

التي تمسخ عناصرها الباقية في الأمم إيثاراً لمنافعها المحدودة . وما دام هذا الصوت مسموع النداء . فالعالم الإنساني ممدود البقاء .

يقول السيد المسيح : « مثل ملكوت السموات رجل زرع في أرضه حنطة ، وبينما الناس نيام دب إليها بعض عدوه فدس الزؤان في بذور الحنطة ، فلما اعتم النبت وأخرج شطأه ظهر الزؤان معه . وجاء العبيد مولاهم يقولون : أولست أيها السيد قد زرعت حباً صالحاً في أرضك ؟ فمن أين له الزؤان ؟ قال : تلك دسيسة عدو . قالوا أنذهب فنجمعه ؟ قال لا ! لئلا تقتلعوا الحنطة معه وأنتم تجمعونه . ولكن تصبرون حتى يحين الحصاد فآمر الحصادين أن يجمعوا الزؤان فيطرحوا به في النار ثم يضموا الحنطة الى البيدر » .

وهما حالتان لا بد للحي من إحداهما في هذه الدنيا : القوة والضعف . ولئن خيرت بينهما لأختارنّ أن أكون قوياً ظالماً ، ولا ضعيفاً مظلوماً . بل إني لأوثر أن أكون قوياً مظلوماً ولا ضعيفاً ظالماً ، لأن القوة رائعة في انخذالها والضعف مخز حتى في انتصاره .

القوة قوتان ـ قوة البخار الهائم تعمي الأبصار هبوته ، وتلفح الوجوه وقدته ، وتتبدد في الهواء حركته . ثم يمحي أثره وتغيب عن الأبصار صورته ـ وهذه القوة الطائشة .

وقوة البخار المضطرب في المراجل ، يسير الجبال ، ويضاعف ثمرات الأعمال ، ويصل الغرب بالشرق والجنوب بالشمال ، ينهض بما لا تنهض به الألوف المؤلفة من السواعد والمعاول ، ويقضي في ساعة ما لم يكن يقضى في الدهر المتطاول ـ وهذه القوة الحكيمة .

القوة قوتان ـ قوة الطاغية الغشوم ، والجبار الظلوم ، يسوق الصفوف اللجبة تصخب بالحياة فإذا هي جثث يحوم عليها الحمام ، ويطرق المدائن الفخمة فتندك آكاما على آكام وركاما من فوقه ركام . ثم يقف فوق الأشلاء الممزقة والكواهل المرهقة يعجب بما بلغت إليه قدرته على الخراب والإرهاب ، ويختال بما أوتيه من سطوة التنكيل والعذاب ـ وهذه قوة الهمجية .

وقوة الجواد الغيور يرى المساكين يدلحون بالعبء فيسره أنه قادر على رفعه ، ويبصر الضعفاء يئنون من الظلم فيطربه أنه زعيم بدفعه . وينظر العتل الجهول شامخاً بأنفه فيلذ له أن يطأه بقدمه ، ويسمع دلاّل المحامد ينادي عليها في سوق الفخار فيشتريها بلحمه ودمه ، ويقصده الناس فيرى أنهم أقروا له بنهاية القدرة ساعة عرفوه بحاجتهم إليه ، ووفوه أجره حين مدوا أيديهم مستعينين به . ثم يقف بين غرس أياديه وثمار مساعيه فيستروح من شكر الناس له غبطة لا يستروح مثلها ذلك العتل من خشيتهم إياه ـ وهذه قوة المدنية .

فيا من يعبد القوة ! أي القوتين أحق بالسيادة وأولى من الخلق بالعبادة ؟

أما وقد شاهدتم أيها الملأ كيف أن الموت ينقلكم من طور إلى طور أكمل ، ومن هيئة الى هيئة أجمل ، فاعلموا ـ كملكم الله ـ أن الكمال غايتكم في الحياة وليس البقاء ، فلا تخافوا الموت بل خافوا النقص فهو أعدى لكم من الموت . . . ولا تسمعوا صوت الحياة بل اسمعوا صوت الطبيعة فهي أبرّ بكم من الحياة .

فما كادت تلفظ الكلمة الأخيرة حتى وثب الأسد على الثور ، وقبض النمر على الأيل ، وعدا الثعلب وراء الأرنب ، ووجأ الذئب عنق الشاة ، والتهم الهر الفأر وجذب الإنسان سلاحه يضرب ذات اليمين وذات الشمال . . . والقدر يضحك والحياة تصرخ . وكلهم ذاهبون على رؤوسهم يصيحون : اسمعوا صوت الطبيعة ! اسمعوا صوت الطبيعة !!

كأني بأول قوي عرف نفسه فاعتز بسطوته وأعجبته قدرته وأقبل يهز سيفه على رأس الضعيف ويقول له : إنك أضعف مني ، فاصدع بأمري ، وألحق وجودك بي ، وسلمني زمامك ، واعمل لي لا لنفسك ، وإلا أبدتك وهشمتك وجعلتك ترابا لقدمي . فرعب المسكين مما سمع ، وتلفت الضعفاء بعضهم إلى بعض وقد علموا بعد حين أنهم مقصودون بهذا الوعيد فرداً فرداً ، فأجلبوا وتألبوا وصاروا باجتماعهم أقوى من أقوى الأقوياء ، فكرّوا إلى ذلك المتمرد الجبار قائلين : إنك أضعف منا ، فاصدع بأمرنا ، وألحق وجودك بوجودنا ، وسلمنا زمامك ، واعمل لنا لا لنفسك . فان أطعت أطعنا ، وانتفعت بقوتك وانتفعنا . وإن أبيت أبدناك وهشمناك وجعلناك ترابا لأقدامنا . . . فعلم القوي منذ ذلك الحين أن عليه واجباً كما أن له حقاً . وكذلك نجم الحق بجانب القوة .

لا تقولوا يا قوم : حسدوه . فليس من الحسد أن يرفع القتيل يد القاتل عن عنقه .

ولا تقولوا : ظلموه . فما ظلمك من ردك إلى الحكم الذي ترده أنت إليه . ولا جار عليك من يعاملك بالقسطاس الذي تعامله به .

ولا تقولوا : أخطأوا وضلوا . فان ما تفعله النفوس بداهة بوحي الطبائع وإلهام الحياد ذوداً عن كيانها وإبقاء لجنسها وإعلاء لشأنها لا يكون خطأ أو ضلالا . ولو جاز ذلك لكان الخطأ أصدق من الصواب والضلال خيراً من الهدى .

سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك

إلى لقاء مع ملخص لكتاب جديد

حسابات حدوتة كتاب

للاند رويد
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.BookHdotah

للكمبيوتر والايفون
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/Book_show_simple.php

يوتيوب
https://www.youtube.com/channel/UCTG5AYoNunvwpHnPEybZxRg

فيسبوك
https://www.facebook.com/hdoott

واتساب
https://chat.whatsapp.com/GRX8q4psOOVEsaVTvcYLeD

تلجرام
https://t.me/Book_hadotah

شاركونا كتبكم على هذا الرابط
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/coments_form.php

او في قسم (شاركنا كتاب) بقائمة التطبيق

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)



www.cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com
+201001490077 - +96890968355